مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (27) العدد (1)2005
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Humanities Science Series Vol (27) No (1) 2005

حقل الألفاظ الدالة على أعمار الإنسان
في لزوميات أبي العلاء المعري

الدكتور رضوان القضماني*
الدكتور يعقوب بيطار**
رفيف هلال***

(قبل للنشر في 2005/3/31)

□ الملخّص □

ينطوي هذا البحث على حقل الألفاظ الدالة على أعمار الإنسان في لزوميات أبي العلاء المعري ، وبصورة أكثر تحديداً على جمع الألفاظ المتنوعة الواردة ضمن هذا المجال ، وذكر العدد الذي تكررت ضمنه كل لفظة على حِدَه. وقد قُسِّم هذا الحقل إلى مجموعات فرعية ، تحددت في أعمار الذكر المتراوحة ما بين الطفولة والشباب والكهولة والشيخوخة مثل: وليد . طفل . غلام . فتىً . ناشئ . شاب . رجل . كهل . أشيب . شيخ. وكذلك في أعمار الأنثى المتراوحة أيضاً ما بين المراحل ذاتها التي وجدناها لدى الذكر مثل: وليدة . ناهد . كاعب . فتاة . معصر . شهلة . همة. وبعد الانتهاء من هذا الحقل تمَّت المقارنة ما بين تكرارات هذه الألفاظ وما انطوت عليه من دلالات متنوعة. هذا بالإضافة إلى إظهار العلاقات الدلالية التي وجدت ما بين هذه الألفاظ، وذلك من ترادف وتضاد. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الحقل اكتسب أهميته في ديوان اللزوميات من خلال اهتمام الشاعر بصورة واضحة متميزة بحياة الإنسان من بدايتها إلى نهايتها ، نظراً لما تنطوي عليه . وفق منظوره . من هموم ومتاعب إضافة إلى تشكيلها بكل ما فيها ذلك الجسر الذي سيعبره الإنسان إلى الموت المتوق إليه دائماً لدى الشاعر ما دام سيحقق له غايته المتحددة في الانعتاق إلى الحرية والسكينة .

* أستاذ في قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة البعث – حمص – سوريا.
** أستاذ في قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سوريا.
*** طالبة دكتوراه في قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سوريا.

مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (27) العدد (1)2005
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Humanities Science Series Vol (27) No (1) 2005

Field of Words Indicating Stages of Man's Age in the Obligations of Abi Al Alaa Al Maarri

Dr. Radwan Al Kadmani *
Dr. Yaacoub Bittar **
Rafif Hilal ***

(Accepted 31/3/2005)

□ ABSTRACT □

This research underlies the field of words indicating the stages of man's ages in the obligations of Abi Al Alaa Al Maarri, and more specifically the collection of the various words mentioned within this field. He mentioned the number within which every word was separately repeated .He divided this field into branch groups, talking about the stages of male's age varying between childhood, youth, middle age and old age, such as: little child, child, lad, youth, junior, young man, man, middle, aged man, grey man and old man .

He also talked about the stage of female's age varying between the same stages which we found in the male, such as: little girl – girl in bloom of youth – buxom girl – girl – junior girl - young woman and woman .

The paper then compares between the repetition of these words and the various indications included in them, in addition to giving prominence to the indicative relations that were found among these words, that is, synonyms and antonyms. It is worth saying here that this field gained its importance in the obligations' volume through the poet's interest in a clear and distinctive way in the life of man from its beginning to its end. This is because of what it underlies – according to his perspective – of cares and troubles it addition to its formation a bridge which man will cross to the death which is always looked forward to by the poet so long as it will fulfill for him the purpose defined in the emancipation to freedom and quietude.

*** Prof, Department Of Arabic- Faculty Of Arts & Humanities - Al Baath University - Homs - Syria .**
****Prof, Department Of Arabic -Faculty Of Arts & Humanities - Tishreen University - Lattakia - Syria.**
*****Doctorate Degree Student, Department Of Arabic -Faculty Of Arts & Humanities - Tishreen University - Lattakia - Syria.**

يُقصَد بالحقل الدلالي جمع الألفاظ المنتمية إلى مجال معين من المجالات المتنوعة التي تنطوي عليها الحياة، ومن ثم التي يستأثر بعضها أو معظمها باهتمام الأديب بناء على ما تفرض عليه تطلعاته الخاصة، إضافة إلى ما يتبع هذا الجمع من بيان عدد المرات التي تكررت ضمنها كل لفظة على حِدَه، وما ينطوي عليه الجمع والتكرار هذان من دلالات معينة تعكس أبعاد شخصية الأديب وفلسفته الخاصة به. وقد وقع اختيارنا في هذا البحث من بين حقول اللزوميات لأبي العلاء المعري على حقل الألفاظ الدالة على أعمار الإنسان، نظراً لتشكيل الحياة . وفق منظوره . ذلك الهاجس الذي شغل تفكيره، وانعكس على أدبه، وبما تنطوي عليه من متاعب ومصاعب وهموم بصورة عامة، وفي تجربته الشخصية بصورة خاصة، وذلك لما تشكل بالنسبة إليه من تلك المرحلة العابرة التي يحياها الإنسان بكل ما فيها بغية الوصول بعد انتهائها إلى الموت الذي إن شكل لدى الإنسان عامة ما هو باعث على الخوف والرهبة، فإنه شكل لدى الشاعر بناء على التجربة المشار إليها ما هو باعث على الطمأنينة والراحة. ويُقسَم هذا الحقل إلى ما يلي:

أولاً . المجموعة الدلالية الأولى تضم الألفاظ الدالة على مراحل عمر الذكر، وهي تنقسم بدورها إلى مجموعتين فرعيتين:

1 . المجموعة الدلالية (1) تضم الألفاظ الدالة على الطفولة والشباب عند الذكر، وهي: الوَلِيد . الطِّفْل . الصَّغِير . الصَّبي . الرَّضِيع . الفَطِيم . الغُلام . الحَدَث . الأَمْرد . اليافِع . الفَتى . الناشِئ . الشارِخ . الشاب . الرَّجُل.

فكلمة (وليد) التي تُستخدَم للدلالة على الصبي حين يولد **(1)**، وردت في الديوان 29 مرة، وكان من سياقاتها تفضيل الموت على الحياة:

وليتَ وليداً ماتَ ساعةَ وَضْعِهِ ولم يَرتَضِعْ من أُمِّهِ النُّفَسَاءِ **(2)**

فهنا يبدو الشاعر وقد أراد الموت لكل مولود يقبل على الحياة لا رغبة في إلحاق الأذى به، إنما حرصاً على راحته، وخشية عليه مما ستجلب له الحياة من الألم والشقاء. وهنا يلتقي المعري مع الفلسفة الأبيقورية التي لا ترى في الموت ما يبعث على الخوف، أو ما ينطوي على الشر ما دام يشكل نهاية لوعي الإنسان وشعوره اللذين من خلالهما يدرك الألم والشقاء هذين **(3)**.

وكلمة (طفل) التي تُستخدَم للدلالة على الصغير**(4)**، وردت في الديوان 45 مرة، وكان من سياقاتها ضرورة حسن التربية:

فأَطْفَالُ الأَكَابِرِ إِنْ يُوَقَّوا يُرَوا يوماً رِجَالاً كامِلِينَا**(5)**

فالشاعر هنا يبدو وكأنه يريد أن يقول: إذا كان الأطفال صغاراً في السن، فلا ينبغي أن يعني هذا بالنسبة إلى الأهالي صغر شأنهم، وإهمالهم بناء على ذلك، بل إن هذا ينبغي أن يعني ضرورة الاهتمام بهم، وإنمائهم على ما اختلف من الأصعدة لكي يصبحوا فيما بعد رجالاً ذوي مكانة في مجتمعهم.

وكلمة (صغير) التي تُستخدَم للدلالة على من هو ضد الكبير**(6)**، وردت في الديوان 4 مرات، وكان من سياقاتها ضرورة عدم ازدراء الصغار:

لاَ تَزْدَرُنَّ صِغاراً في مَلاَعِبِهِمْ فجائزٌ أَنْ يُرَوا سَادَاتِ أَقْوَامِ**(7)**

فتأكيداً لذلك الإيحاء الذي استنتجناه من خلال البيت السابق نرى الشاعر قد ذكره صراحة في هذا البيت، إذ أكد ضرورة عدم ازدراء الأطفال بناء على صغر سنهم ما دام بالإمكان أن يتحولوا مع الزمن إلى كبار ذوي شأن.

وكلمة (صبي) التي تُستخدَم للدلالة على الصغير من لحظة ولادته إلى أن يُفطَم **(8)**، وردت في الديوان 28 مرة، وكان من سياقاتها تلقن الصبي للعادات:

هِيَ العَادَاتُ يَجْرِي الشَّيْخُ مِنْها على شِيَمٍ تَعَوَّدَها الصَّبِيُّ**(9)**

فإذا ما كان الصبي يتلقن القيم والمبادئ من مجتمعه بشيء من المرونة، فإنه يحرص عليها تدريجياً مع الزمن إلى أن تصبح عادات يتشبث بها في شيخوخته، وتشكل ربما ظلاً لتشبثه بالحياة.

وكلمة (رضيع) التي تُستخدَم للدلالة على الراضع **(10)**، وردت في الديوان مرة واحدة، وجاءت في سياق قسوة الحياة:

ولَمْ تَكُ رائماً سَاءَتْ رَضِيعاً وحنَّتْ بَعْدَها فتملَّقَتْهُ**(11)**

فإذا كان لابد لأم الرضيع من أن تحنو عليه، وتمده بكل ما يحتاجه من رعاية وحنان، فإن أمه الكبرى التي هي الدنيا لم تكن كذلك، بل إنها تمنحه من القسوة التي لا سبيل إلى تراجعها عنها.

وكلمة (فطيم) التي تُستخدَم للدلالة على المفصول من الرضاع **(12)**، وردت في الديوان مرة واحدة، وجاءت أيضاً في سياق قسوة الدنيا:

توطَّأَتِ الفَطِيمَ على اعْتِمادٍ فما أَبْقَتْ عليهِ ولا اتَّقَتْهُ**(13)**

ولكي يعبّر الشاعر هنا أيضاً عن قسوة الدنيا وطيشها إزاء فطيمها شبّهها بالناقة التي لا تحنو على فصيلها إذا ما طلب الرضاع، ولا تأبه بموقفه السلبي الذي ربما سيتكون حيالها.

وكلمة (غلام) التي تُستخدَم للدلالة على الإنسان من حين يولَد إلى أن يشب **(14)**، وردت في الديوان 12 مرة، وكان من سياقاتها عدل الموت:

نَجُورُ بِجَهْلِنا والموتُ عَدْلٌ تَسَاوَى الشَّيْخُ فيه والغُلامُ**(15)**

فهنا تجري المقارنة ما بين الناس الذين يظلمون بعضهم بعضاً والموت الذي لا يفرّق ما بين شخص وآخر، إذ إنه يصيب الغلام كما يصيب الشيخ دون الاهتمام بقضية تفاوتهما في السن.

وكلمة (حدث) التي تُستخدَم للدلالة على الشاب الفتي السن **(16)**، وردت في الديوان 3 مرات، وكان من سياقاتها النفور من صروف الزمان:

وكَم حَدَثٍ من صُروفِ الزَّمَانِ يكْرَهُهُ شَيْخُنَا والحَدَثْ**(17)**

فمثلما لا يفرّق الموت ما بين الغلام والشيخ، كذلك لا تفرّق صروف الزمان في إصابتها ما بين الشاب والشيخ اللذين يراهما الشاعر يتشكل لديهما الموقف السلبي ذاته حيالها. ونلاحظ هنا الجناس ما بين كلمة حدث الأولى التي تشير إلى صرف الزمان، وكلمة حدث الثانية التي تعني الشاب الفتي السن، وذلك من أجل أن يبين كيف أن المصاب الكبير في هذه الدنيا قد يحل على الإنسان مهما كان صغيراً.

وكلمة (أمرد) التي تُستخدَم للدلالة على الشاب الذي بلغ خروج لحيته **(18)**، وردت في الديوان 4 مرات، وكان من سياقاتها شمول الباطل والجهل الناس جميعاً:

والشِّيبُ شابوا على جَهْلٍ ومَنْقِصَةٍ والمُردُ في كلِّ أَمرٍ باطلٍ مَرَدُوا**(19)**

فمقابل إظهاره حلول المصائب والموت على الناس جميعاً شيباً وشباناً، كذلك يُظهر في هذا البيت توجههم جميعاً على اختلاف مراحل أعمارهم إلى الجهل والباطل. ونُلاحِظ هنا كيف وَفَّق ما بين كلمة مرد والفعل مردوا، وذلك ربما من أجل أن يُظهر ما بينهما من اشتقاق، إذ إن الأمرد ربما نُعِت بذلك نظراً لاحتمال تمرده على مجتمعه في تلك السن المبكرة.

وكلمة (يافع) التي تُستخدَم للدلالة على الشاب **(20)**، وردت في الديوان مرة واحدة، وجاءت في سياق عدم الجدوى من وجود الأولاد:

تَمَنَّتْ غُلاماً يافعاً خِيْلَ نافِعاً وذاكَ دَهَاءٌ دُسَّ فيه الدّهَارِسُ**(21)**

فهنا يبدو أن استنكار الشاعر للحياة قد أوصله إلى استنكاره لرغبة الأم في أن تحظى بولد، لأنها إذا ما ظنت فيه خيراً ونفعاً لها في أيام شبابه، فإنها لن تنتهي إلا إلى ما يناقض ذلك لما يمكن أن يشكل عبئاً عليها يتراكم مع الزمن حتى يودي بها إلى المهالك. وربما جسَّد الشاعر ظن الأم الخيّر بولدها من خلال مقاربته ما بين لفظي يافع ونافع.

وكلمة (فتىً) التي تُستخدَم للدلالة على الشاب **(22)**، وردت في الديوان 272 مرة، وكان من سياقاتها خيبة الإنسان:

يَوَدُّ الفَتَى لو عَاشَ آخِرَ دَهْرِهِ سَلِيماً مُؤَثّىً لا أُمِيتَ ولا رُزِيْ**(23)**

فهنا يتجسّد التعارض ما بين سيرورة الحياة وحلم الإنسان، فإذا ما كانت الحياة تبدأ مع الإنسان في طفولته وشبابه لتنتهي به إلى الشيخوخة والموت، فإن الإنسان يود أن تظل الحياة معه كما هي، فتمنحه بصورة دائمة السلامة والرزق والعمر المديد.

وكلمة (ناشئ) التي تُستخدَم للدلالة على الشاب **(24)**، وردت في الديوان 5 مرات، وكان من سياقاتها عدم الإقبال على الحياة:

فلا تَطْلُبِ الدنيا وإن كنتَ ناشِئاً فإنّي عنها بالأَخلاَّء أَرْبأُ**(25)**

فعلى الرغم من أن الدنيا متاحة للناشئ الشاب أكثر من غيره، فإن الشاعر يحذره من الانغماس بها مثلما يحذر الأخلاء حرصاً عليهم جميعاً من نتائجها السلبية.

وكلمة (شارخ) التي تُستخدَم للدلالة على الشاب **(26)**، وردت في الديوان 23 مرة، وكان من سياقاتها ضرورة التنسك في الشباب:

فَكَيْفَ تُرَجّي أَنْ تثابَ، وإنّما يرى الناسُ فضلَ النسكِ، والمرءُ شَارِخُ**(27)**

فهنا يبدي الشاعر تفضيله تنسك الشباب على تنسك الشيخوخة، ذلك لأن الأول إذا كان يصدر عن إيمان حقيقي متمثل في مجاهدة النفس ضد أسباب الدنيا المتاحة، فإن الثاني لا يصدر إلا عن شعور بالعجز إزاء هذه الدنيا وعدم العثور على سبيل آخر سوى الابتعاد عنها.

وكلمة (شاب) التي تُستخدَم للدلالة على الفتى **(28)**، وردت في الديوان 62 مرة، وكان من سياقاتها التذمُّر من الحياة:

عَمَرنا الدَّهرَ شُبَّاناً وشِيبنا فَبُؤْسٌ للرُّقَادِ وللسُّهادِ**(29)**

فإذا ما كان الدهر يضج بحياة الشبان والشيوخ معاً، فإن الشاعر يتذمر من هذه الحياة بمجملها من غفلة الشبان وعدم اكتراثهم بأي أمر، ومن أرق الشيوخ إزاء ما سينتهون إليه.

وكلمة (رجل) التي تُستخدَم للدلالة على من هو فوق الغلام **(30)**، وردت في الديوان 132 مرة، وكان من سياقاتها حتمية الموت:

وما دَفَعَتْ حُكَمَاءُ الرِّجالِ حَتْفاً بحِكْمَةِ بُقْرَاطِها**(31)**

فكأن الشاعر هنا أراد أن يظهر تفوق الموت في جبروته على كل إنسان، وعلى كل أمر في هذه الحياة، إنه ينتصر حتى على الرجال الذين يشكلون رمزاً للقوة، وحتى على حكمة أعظم الأطباء التي من المفترض أن تبعد ما أمكن من الأمراض والأخطار **(32)**.

2 . المجموعة الدلالية (2) تضم الألفاظ الدالة على الكهولة والشيخوخة عند الذكر، وهي: الكَهْل . الأَشْيَب . الأَشْمَط . الكبير. المُسِن . الشَّيْخ . اليَفَن . الهِم . الهَرَم.

فكلمة(كهل) التي تُستخدَم للدلالة على من جاوز الثلاثين ووخطه الشيب **(33)**، وردت في الديوان 23 مرة، وكان من سياقاتها حُب الحياة:

سَرَّ هَوَاها الشيخُ والكهلُ والفتى بجهلٍ، فمن كلٍّ النواظِرِ تُرْمَقُ**(34)**

فهنا يُظهر الشاعر مدى تشبث الناس بالحياة على اختلاف أعمارهم، ويبدو مستنكراً هذا الأمر بصورة خاصة لدى الكهول والشيوخ الذين يُفترَض أن يكون قد أصابهم قدر من الملل نتيجة ارتوائهم منها وتقهقر طاقاتهم إزاءها بأكملها.

وكلمة (أشيب) التي تُستخدَم للدلالة على من أصابه الشيب **(35)**، وردت في الديوان 68 مرة، وكان من سياقاتها التبايُن ما بين الشباب والشيخوخة:

شَرُّ الزَّمانِ زَمَانُ أَشْيبَ دالِفٍ وصِبَاهُ أَنفَسُ وَقْتِهِ وأَجَلُّهُ**(36)**

فبرغم نفور الشاعر من الحياة على اختلاف مراحلها، فإنه لا يجد بداً من أن يجري مقارنة على لسان الإنسان المسن ربما، وذلك ما بين شر الشيخوخة وخير الشباب.

وكلمة (أشمط) التي تُستخدَم للدلالة على من اختلط بياض شعر رأسه بسواده **(37)**، وردت في الديوان مرة واحدة، وجاءت في سياق اتقاء شر الضعفاء:

وَعَاصٍ مُشِيراً قَالَ: بادِرْهُ غارةً، فَلَسْتُ بِحَادٍ كَيْدَ أَشْمَطَ بَادِنِ**(38)**

فهنا يبدو الشاعر محذراً ومنبهاً من الذين يبدون ضعفاء أمثال المسنين، وذلك لما يمكن أن يمتلكوا من قدرة على إضمار الشر والكيد لخصومهم.

وكلمة (كبير) التي تُستخدَم للدلالة على نقيض الصغير**(39)**، وردت في الديوان 28 مرة، وكان من سياقاتها عدم الجدوى من الحياة:

إذا لَم يكُنْ خَلْفي كبيرٌ يُضيعُهُ حِمامي ولا طِفْلٌ، ففيمَ حَيَاتي؟**(40)**

فهو يرى أنه لا جدوى من حياته التي يعيشها ما دام ليس وراءه من كبير أو صغير يحتاج إلى معونته، وما دام قد أوحى إلى جانب الأمر المذكور بعدم تمتعه الشخصي بهذه الحياة.

وكلمة (مسن) التي تُستخدَم للدلالة على الكبير**(41)**، وردت في الديوان 28 مرة، وكان من سياقاتها موقف الإنسان من الحياة:

يَعِيشُ الفَتَى في عُدْمِهِ عَيْشَ رَاغِبٍ ويُثْرِي مُسِنٌّ للمَعِيشَةِ سَائِمُ**(42)**

فهنا تجري الموازنة ما بين حال الفتى الفقير الذي يقبل على الحياة تائقاً إليها برغم حرمانها له، وحال المسن الثري الذي يسأم من هذه الحياة لفرط ارتوائه من ملذاتها.

وكلمة (شيخ) التي تُستخدَم للدلالة على من استبانت فيه السن، وقيل من الخمسين إلى آخر عمره **(43)**، وردت في الديوان 51 مرة، وكان من سياقاتها دوران الحياة على الإنسان:

ودُعِيتُ شَيْخاً بَعْدَما سُمِّيتُ في زَمَنٍ فُتَيَّا**(44)**

فالحياة التي لا تثبت ولا تستقر على حال معينة، وتبقى في سيرورة وتجدد دائمين لا بد لها من أن تحول الإنسان من فتىً شاب في زمن إلى شيخ هرم في زمن آخر.

وكلمة (يفن) التي تُستخدَم للدلالة على الشيخ الكبير**(45)**، وردت في الديوان مرتين، وكان أحد سياقيها التهيئة للموت:

جَاءَ الوَلِيدُ مُعَرىً لاَ حَنُوطَ لهُ فما الفَضِيلَةُ بينَ الطِّفْلِ واليَفَنِ**(46)**

فهنا يتساءل الشاعر مستنكراً حول الفارق ما بين الطفل الذي يأتي إلى هذه الحياة معرىً من كل شيء، وحال الشيخ الهرم الذي يُهيأ له ما يكفي من الأموال اللازمة للإنفاق على موته. الأمر الذي يُظهره وكأنه يريد للإنسان أن يُوحِّد ما بين رحيله وقدومه نظراً للتشابه القائم فيما بينهما. أو للتلاقي ما بين مرحلة الطفولة ومرحلة الشيخوخة على الرغم من تباينهما الواضح المحاكي للتباين ما بين البداية والنهاية.

وكلمة (هم) التي تُستخدَم للدلالة على الشيخ الكبير البالي **(47)**، وردت في الديوان مرة واحدة، وجاءت في سياق ضعف الإنسان:

ترى الهِمَّ لا شيءٌ سوى الأَكْلِ هَمّهُ له جَسدٌ ما اسطاعَ حَرَّاً ولا بَرْدَا**(48)**

فهنا يظهر حالة التراجع التي يؤول إليها الإنسان في كبره، وذلك على الصعيدين النفسي والجسدي، إذ يصبح همه مقتصراً على طعامه ويفقد القدرة على مقاومة الحر والبرد اللذين ربما يمثلان هنا في منظور الشاعر ظروف الحياة القاسية التي كانت ترافقه منذ طفولته ولم يعد يحتملها في هذه المرحلة. ونلاحظ في هذا البيت التقارب اللفظي ما بين كلمتي الهم وهمه اللتين ربما يراد الوصول من خلالهما إلى التقارب المعنوي المتمثل في تحول الشيخ الهم إلى صاحب هم فريد كما سبقت الإشارة، أو إلى تحوله هو ذاته إلى مصدر لهموم الآخرين بفعل ضعفه.

وكلمة (هرم) التي تُستخدَم للدلالة على من بلغ أقصى الكبر**(49)**، وردت في الديوان10 مرات، وكان من سياقاتها تذمر الإنسان من تقدمه في السن:

بَلغَ الفتى هَرَماً، فظنَّ زَمَانَهُ هَرِماً، وذَمَّ تَقَادُمَ الأَعْصَارِ**(50)**

فالإنسان الذي تتقدم به السن يتوهم أن هرمه ليس سوى انعكاس لهرم الزمان وتقادمه. علماً أن هذا الزمان لم يكن إلا في حالة من الشباب والتجدد الدائمين اللذين يتيحان له السير مع الإنسان من البداية إلى النهاية وذلك من أجل أن يبدأ على الدرب ذاته مع آخر سواه.

ثانياً . المجموعة الدلالية الثانية تضم الألفاظ الدالة على مراحل عمر الأنثى، وهي تتفرع إلى مجموعتين اثنتين:

1 . المجموعة الدلالية (1) تضم الألفاظ الدالة على الطفولة والشباب عند الأنثى، وهي: الوَلِيدة . الناهِد . الكاعِب . الفَتاة . المُعْصِر.

فكلمة (وليدة) التي تُستخدَم للدلالة على الطفلة ساعة تولَد **(51)**، وردت في الديوان مرة واحدة، وجاءت في سياق رعونة الجاهل:

أَبَى سيْفُه قَتلَ أَعدائهِ وسافَ ولِيدَتهُ أَو هرا**(52)**

فكل إنسان في هذه الدنيا يمكن أن يمتلك قوة، إلا أنه ليس ضرورياً أن يمتلك دائماً المنطق الذي يمكنه من التحكم بهذه القوة، فالجاهل مثلاً بدلاً من أن يوجه قسوته إلى أعدائه يوجهها إلى طفلته المولودة التي تشكل رمزاً للضعف الإنساني، والتي لم تقترف ذنباً تستحق عليه هذه العقوبة.

وكلمة (ناهد) التي تُستخدَم للدلالة على من نهد ثديها **(53)**، وردت في الديوان مرة واحدة، وجاءت في سياق تصابي الشيوخ:

أَخو شَيْبَةٍ طِفْلُ المُرَادِ وهمّةٌ لَهَا هِمّةٌ في العيشِ عذراءُ نَاهِدُ**(54)**

فبدلاً من أن يعطي الإنسان كل مرحلة من عمره حقها يرى الشاعر كيف أن كبار السن من الرجال والنساء يقومون بتقليد الشبان والشابات معبرين من خلال ذلك عن نفورهم من المرحلة التي تقودهم إلى الضعف والذبول، وعن حنينهم إلى تلك الأيام الزاهية التي مضت بمتعهم وبهجاتهم إلى غير عودة **(55)**.

وكلمة (كاعب) التي تُستخدَم للدلالة على من نهد ثديها **(56)**، وردت في الديوان 13 مرة، وكان من سياقاتها ضرورة التكافؤ في الزواج:

إِذَا ما ابنُ سِتّينَ ضَمَّ الكَعَابَ إليهِ، فَقَد حَلَّتِ البَهْلَهْ**(57)**

فهنا يؤكد الشاعر ما يمليه الدين والمجتمع من ضرورة التكافؤ في الزواج، ولا سيما في مجال السن، نظراً لما يمكن أن يؤدي إليه التفاوت ما بين عمري الزوجين من عواقب غير محمودة وعلاقة غير متوازنة ناجمة عن عدم الانسجام في الأساس ما بين مرحلتي الشيخوخة والشباب.

و(الفتاة) التي تُستخدَم للدلالة على الشابة **(58)**، وردت في الديوان 26 مرة، وكان من سياقاتها حب الخمر:

لَقَد كَرُمَتْ عليكَ فَتَاةُ قَوْمٍ شَرِبْتَ بِفَضْلِها فَضَلاتِ كَرْمِ**(59)**

فحب الإنسان للخمرة وتعلقه بها دفعه إلى حب الساقية وإعلاء شأنها الذي تفتقده أساساً في مجتمعها. ونلاحظ هنا كيف قارب ما بين كرمت وكرْم، وذلك ربما للمقاربة ما بين مصدري الخير اللذين يجودان عليه بما تتوق إليه نفسه، واللذين يتمثلان في الفتاة التي تسقيه والكرمة التي تنتج له هذا الذي يُسقى منه. كما نلاحظ الجناس ما بين كلمتي فضلها وفضلات، وذلك للتعبير عما يجد في فضلات العنب المتبقية أو في الخمرة هذه من فضل وخير زائد.

و(المعصر) التي تُستخدَم للدلالة على من بلغَت عصر شبابها أو التي كما قيل راهقَت العشرين **(60)**، وردت في الديوان 3 مرات، وكان من سياقاتها إفناء الدهر للإنسان:

كم أَخْلَقَ العَصْرانِ مُهْجَةَ مُعْصِرٍ وهُما على أَمْنٍ من الإِخْلاقِ**(61)**

فعلى الرغم من امتلاء مهجة الفتاة بالحيوية والشباب، فإنها لابد من أن تتعرض يوماً بعد يوم للإفناء من الليل والنهار اللذين يمران عليها مبقيين على حيويتهما وشبابهما، وبذلك يوحي الشاعر بالفارق ما بين نبض الليل والنهار الذي يبقى متوالياً متجدداً ونبض المهجة الإنسانية الذي يتدرج في الخفوت حتى التوقف نتيجة ارتباطه بالأول المذكور.

2 . المجموعة الدلالية (2) تضم الألفاظ الدالة على الكهولة والشيخوخة عند الأنثى، وهي: الشهْلة . الشمْطاء . العَجُوز . الهِمَّة.

(فالشهلة) التي تُستخدَم للدلالة على الكهلة **(62)**، وردت في الديوان مرتين، وكان أحد سياقيها ضرورة التكافؤ في الزواج:

رَأَى الشَّيْبَ في عَارِضَيْهِ المُسِنُّ فَنِعْمَ القَرِينُ لَهُ الشَهْلَهْ**(63)**

فتأكيداً لفكرة التكافؤ في الزواج يلح الشاعر من جديد على ضرورة التقارب في السن ما بين الزوجين، إذ يرى أن من تجاوز شبابه وظهر الشيب عليه لا تناسبه إلا من تجاوزت شبابها هي الأخرى.

و(الشمطاء) التي تُستخدَم للدلالة على من اختلط السواد بالبياض في شعرها **(64)**، وردت في الديوان مرتين، وكان أحد سياقيها طول العيش:

من الشُمُطِ اغْتَزَلْنَ بكلِّ عُودٍ وأَفْنَيْنَ السنينَ مجَرَّمات**(65)**

فقد أراد الشاعر أن يعبر عن طول الزمان الذي تعيشه بعض العجائز، فجاء هذا التعبير مباشراً حيناً من خلال عبارته " وأفنين السنين مجرمات "، وما تدل عليه من قضائهن على السنين. كما عبر عن الأمر ذاته بصورة غير مباشرة حيناً آخر لدى إشارته إلى مرور العجائز على المغازل كلها التي إن شكلت في الواقع أدوات لغزل الخيوط، فإنها شكلت ضمن سياق هذا البيت في تدويرهن لها تجسيداً لتدويرهن الأيام بدلاً من أن تقوم هذه الأخيرة بالدوران عليهن. وبذلك يبدو الشاعر هنا وكأنه أراد من خلال إبراز مقاومتهن للزمان أن يوضح تشكيل المرأة على هذه الأرض رمزاً للحياة وتجددها.

و(العجوز) التي تُستخدَم للدلالة على الشيخة الهرمة **(66)**، وردت في الديوان 23 مرة، وكان من سياقاتها ضرورة الحفاظ على الزوجة:

إذا كانَتْ لك امرأةٌ عجوزٌ فلا تأْخُذْ بها بدلاً كَعَابا**(67)**

وإضافة إلى ما ينطوي عليه هذا البيت الذي يعني ضرورة حفاظ الزوج على زوجته العجوز من ضرورة التكافؤ بين الزوجين، فإنه ينطوي أيضاً على احتمالين آخرين يتحدد أولهما في رفض الشاعر تجدد الحياة الذي قد يحدث من خلال استبداله بعجوزه كاعباً قادرة على الإنجاب، ويتحدد ثانيهما في حرص الشاعر على إخلاص الزوج لزوجته التي لم تصل إلى مرحلة الشيخوخة إلا بعدما تكون قد عايشت زوجها عبر حياته كلها بما فيها من هموم وأفراح.

و(الهمة) التي تُستخدَم للدلالة على المرأة الكبيرة البالية **(68)**، وردت في الديوان مرة واحدة، وجاءت في سياق تصابي الشيوخ، وذلك في هذا البيت الذي سبق الوقوف عنده بشأن كلمة ناهد:

أَخو شَيْبَةٍ طِفْلُ المُرَادِ وهمّةٌ لَهَا هِمّةٌ في العيشِ عذراءُ نَاهِدُ**(69)**

وبعد انتهائنا من هذا الحقل الفرعي الخاص بأعمار الإنسان يتبيّن محاولة الشاعر استيفاء ما اختلف من الكلمات الدالة على مراحل حياة الإنسان: الطفولة . الشباب . الكهولة . الشيخوخة. معبراً من خلال ذلك ربما عن مدى انشغاله بقضية الحياة هذه بصورة كاملة متضمنة ما تعدد من المحطات والأحداث، ولا سيما في ديوان اللزوميات هذا الذي أبدعه في مرحلة متقدمة من عمره، وبدا من خلاله أكثر تبصراً وإلماماً بما مر به وبسواه، لكن تجدر الإشارة إلى تقليل الشاعر من تكرار الكلمات الدالة على بدء الطفولة: صغير 4 مرات . وليدة مرة واحدة . رضيع مرة واحدة . فطيم مرة واحدة، والكلمات الدالة على بدء الشباب: ناشئ 5 مرات . أمرد 4 مرات . حدث 3 مرات . يافع مرة واحدة . ناهد مرة واحدة، والكلمات الدالة على الشيخوخة، إذ وردَت: هرم 10 مرات . يفن مرتين . شهلة مرتين . شمطاء مرتين . أشمط مرة واحدة . هم مرة واحدة . همة مرة واحدة. وربما جاء ذلك نتيجة نفوره من بداية الحياة التي لا يبتغي تجددها، ومرورها بقسوتها على أي إنسان، ونفوره كذلك من نهايتها التي إن شكلت إرهاصاً بدنو الأجل الذي يتوق إليه الشاعر، فإنها تبدو له أكثر المراحل عسراً على الإنسان لما يعتريه فيها من ضعف ووهن. لكن مقابل ذلك لا بد من الإشارة إلى إكثاره الواضح من تكرار الكلمات فتىً 272 مرة . رجل 132 مرة . شاب 62 مرة، وذلك ربما لما تنطوي عليه مجتمعة من دلالة على وصول الإنسان إلى مرحلة من النضج والاكتمال والقوة اللازمة لمواجهة الحياة " فتوة . شباب . رجولة "، وذلك بعد تجاوزه تلك البدايات وقبل وصوله إلى تلك النهايات.

أما بشأن العلاقات الدلالية المتحققة داخل هذا الحقل الفرعي، فهناك الترادف الواقع . على سبيل المثال . ما بين الفتى والشاب، الأشيب والأشمط، المسن والشيخ، الناهد والكاعب. وهناك أيضاً التضاد الواقع ما بين الطفل والرجل، الصغير والكبير، الشاب والشيخ، الفتاة والعجوز، الفتى والفتاة، الأشمط والشمطاء، الشيخ والعجوز.

الحواشي:

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، دت، ج 3، مادة ولد، ص 467.
2- أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، حققه كمال اليازجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1992م، ج 1، 21: 4، قافية الهمزة، ص 62.
3- شارل فرنر، الفلسفة اليونانية، ترجمة تيسير شيخ الأرض، دار الأنوار، بيروت، الطبعة الأولى، 1968 م، ص 207. و ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1987 م، ص 228.
4- ابن منظور، لسان العرب، ج 11، مادة طفل، ص 401.
5- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 48: 4، قافية النون، ص 422.
6- ابن منظور، لسان العرب، ج 4، مادة صغر، ص 458.
7- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 118: 1، قافية الميم، ص 351.
8- ابن منظور، لسان العرب، ج 14، مادة صبا، ص 450.
9- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 2: 5، قافية الياء، ص 536.
10- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة، دت، مادة رضع، ص 363.
11- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 5: 47، قافية الهاء، ص 495.
12- ابن منظور، لسان العرب، ج 12، مادة فطم، ص 454.
13- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 5: 46، قافية الهاء، ص 495.
14- ابن منظور، لسان العرب، ج 12، مادة غلم، ص 440.
15- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 34: 8، قافية الميم، ص 293.
16- ابن منظور، لسان العرب، ج 2، مادة حدث، ص 132.
17- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 1، 16: 2، قافية الثاء، ص 205.
18- ابن منظور، لسان العرب، ج 3، مادة مرد، ص 401.
19- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 1، 26: 3، قافية الدال، ص 265.
20- ابن منظور، لسان العرب، ج 8، مادة يفع، ص 415.
21- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 1، 8: 1، قافية السين، ص 542.
22- ابن منظور، لسان العرب، ج 15، مادة فتا، ص 145.
23- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 18: 2، قافية الياء، ص 549.
24- ابن منظور، لسان العرب، ج 1، مادة نشأ، ص 170.
25- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 1، 4: 4، قافية الهمزة، ص 50.

26- ابن منظور، لسان العرب، ج 3، مادة شرخ، ص 29.
27- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 1، 1: 2، قافية الخاء، ص 247.
28- ابن منظور، لسان العرب، ج 1، مادة شبب، ص 480.
29- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 1، 117: 2، قافية الدال، ص 315.
30- ابن منظور، لسان العرب، ج 11، مادة رجل، ص 265.
31- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 24: 4، قافية الطاء، ص 13.
32- صالح حسن اليظي، المتنبي وأبو العلاء المعري رؤية في الإبداع الأدبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990 م، ص 59.
33- ابن منظور، لسان العرب، ج 11، مادة كهل، ص 600.
34- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 11: 2، قافية القاف، ص 81.
35- ابن منظور، لسان العرب، ج 1، مادة شيب، ص 512.
36- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 30: 21، قافية اللام، ص 168.
37- ابن منظور، لسان العرب، ج 7، مادة شمط، ص 335.
38- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 63: 5، قافية النون، ص 437.
39- ابن منظور، لسان العرب، ج 5، مادة كبر، ص 126.
40- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 1، 37: 2، قافية التاء، ص 182.
41- ابن منظور، لسان العرب، ج 13، مادة سنن، ص 222.
42- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 12: 46، قافية الميم، ص 279.
43- ابن منظور، لسان العرب، ج 3، مادة شيخ، ص 31. وأبو الحسين أحمد ابن فارس بن زكريا، معجم المقاييس في اللغة، حققه شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 1998م، مادة شيخ، ص 544.
44- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 11: 2، قافية الياء، ص 543.
45- ابن منظور، لسان العرب، ج 13، مادة يفن، ص 457.
46- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 75: 4، قافية النون، ص 445.
47- ابن منظور، لسان العرب، ج 12، مادة همم، ص 621.
48- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 1، 63: 4، قافية الدال، ص 285.
49- ابن منظور، لسان العرب، ج 12، مادة هرم، ص 607.
50- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 1، 197: 2، قافية الراء، ص 484.
51- ابن منظور، لسان العرب، ج 3، مادة ولد، ص 468.
52- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 1، 4: 43، قافية الألف، ص 75.
53- ابن منظور، لسان العرب، ج 3، مادة نهد، ص 429.
54- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 1، 4: 6، قافية الدال، ص 253.

55- علي شلق، أبو العلاء المعري والضبابية المشرقة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى،1981م، ص 29.
56- ابن منظور، لسان العرب، ج 1، مادة كعب، ص 719.
57- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 78: 1، قافية اللام، ص 204.
58- ابن منظور، لسان العرب، ج 15، مادة فتا، ص 146.
59- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 123: 1، قافية الميم، ص 356.
60- ابن منظور، لسان العرب، ج 4، مادة عصر، ص 576.
61- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 51: 5، قافية القاف، ص 106.
62- ابن منظور، لسان العرب، ج 11، مادة شهل، ص 374.
63- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 2، 78: 4، قافية اللام، ص 204.
64- ابن منظور، لسان العرب، ج 7، مادة شمط، ص 336.
65- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 1، 48: 84، قافية التاء، ص 196.
66- ابن منظور، لسان العرب، ج 5، مادة عجز، ص 372.
67- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 1، 63: 1، قافية الباء، ص 110.
68- ابن منظور، لسان العرب، ج 12، مادة همم، ص 621. وأبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1992م، مادة همم، ص 706.
69- أبو العلاء المعري، الديوان، ج 1، 4: 6، قافية الدال، ص 253.

المراجع:

1- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم المقاييس في اللغة، حققه شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 1998 م.
2- أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، حققه كمال اليازجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1992 م.
3- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، دت.
4- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1992 م.
5- شارل فرنر، الفلسفة اليونانية، ترجمة تيسير شيخ الأرض، دار الأنوار، بيروت، الطبعة الأولى، 1968 م.
6- صالح حسن اليظي، المتنبي وأبو العلاء المعري رؤية في الإبداع الأدبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990 م.

7- علي شلق، أبو العلاء المعري والضبابية المشرقة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1981 م.
8- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة، دت.
9- ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1987 م.